الموقر القس
د. بوب روبرتس

تخرج "روبرتس" من جامعة بايلور (BA)، والمدرسة اللاهوتية الجنوبية الغربية. وهو مؤسس كنيسة "نورثوود" وراعيها الأكبر. وهو كاتب بارز في دراسة التحول العالمي والمحلي للأفراد والمنظمات الدينية والمجتمعات المحلية. وقد أدت تجربة "روبرتس" إلى دعوته من قبل مؤسسات عالمية؛ بما في ذلك، على سبيل المثال لا الحصر، الأمم المتحدة بالإضافة إلى منتدى العالم الإسلامي الأمريكي.

الموقر القس د. بوب روبرتس

السلام على دار زايد.

كتبت خطاباً كان سيتحدث عن ثلاثة أبعاد مختلفة تغطي كافة الفضائل والقيم التي تحدثنا عنها. ولكنني بدلاً من ذلك سأركز على الجانب العملي وكيفية وضع تلك القيم والفضائل موضع التطبيق، وكيف نجعلها جزءاً دائماً من حياتنا، وإلا تسببت بشعوركم بالنعاس لأنكم سمعتم معظم الكلام طوال اليوم.

كانت فترة الأربع وعشرين شهراً الماضية هي العامان الأكثر انشغالاً في حياتي وربما الأكثر إثارة. فبلادنا، الولايات المتحدة الأمريكية، تشهد الآن استقطاباً غير مسبوق لم تشهده من قبل، وهناك احتكاك كبير بين الناس، حيث يشتبه بعضهم بالآخر. الأمر ينطوي على عصبية كبيرة. ونتيجة لذلك أصبح الناس يذمّون بعضهم البعض ووصل الحال بأن يشيطنوا الآخرين، ولم يعد بإمكاننا السيطرة على الأمر.

وفي ظل تلك الثقافة وهذه الأجواء المشحونة، أطلقنا ما نسميه بقافلة السلام، كما أنها تحمل اسم "حارس الجيران". يتمثل جوهر القافلة في جمع الناس ممن لا يتواجدون معاً في المعتاد ووضعهم في مكان واحد لمدة ثلاثة أيام، وإقفال الباب عليهم وتركهم ليتعرفوا على بعضهم البعض.

لاقت الفكرة استجابة مدهشة. بدأنا نطبق الفكرة عام 2014 في باكستان، وقمنا بعمل خلوتين أو ثلاث في الولايات المتحدة الأمريكية، ثم حظينا بدعم منتدى السلام في المجتمعات المسلمة، والذي ساعدنا على نشر الفكرة والترويج لها. وخلال 24 شهراً الماضية، عقدت 13 خلوة من هذا النوع شارك فيها أكثر من 200 رعية و 500,00 شخص ممن تأثروا بتلك المجموعات. ولهذا فنحن متحمسون للفكرة، ونتطلع إلى مضاعفة العدد في العام المقبل لنراها تنمو وتنتشر حول العالم.

جوهر الفكرة هو دعوة الإنجيليين إلى الغرفة، لأننا نخشى المسلمين أكثر من أية مجموعة أخرى. نجمعهم معاً في الغرفة، يتحدثون إلى بعضهم ويقيمون جسور التواصل فيما بينهم، وبالتالي يمكنهم التعرف إلى بعضهم البعض. ساهمت هذه الطريقة في تغيير كل شيء، وهي تساعد الناس في التغلب على شكوكهم ومخاوفهم.

عملت مع الكثير من القساوسة الشباب في أمريكا، كما أنشأت الكنائس. أقامت كنيستنا 250 إلى 300 كنيسة. ومن بين الأمور التي نقوم بها على أرض الواقع تدريب القساوسة الشباب على علم الدين المسيحي وكيفية بناء وإقامة الكنائس. قد يبدو الأمر جنونياً للبعض، ولكننا نقوم بذلك في المسجد، حيث إنني صديق للأئمة في المساجد، ونقوم في ذلك في الكنس اليهودية؛ إذ أنني صديق لرجال الدين اليهودي. قد تتساءلون عن سبب القيام بذلك، ولم لا ندرّبهم بعيداً عن البقية. وإليكم السبب.

إننا نعيش في عالم مختلف للغاية، وعلينا أن نتعلم كيفية الحديث عن ديننا في الميدان العام، وهذا ما نفتقر إليه. لا نعرف كيف نكون حضاريين، ولا نعرف كيف نمارس الأخوة الإنسانية في ميدان حضاري.

الأمر صعب وينطوي على خطورة. لدي صديق مقرب من السعودية، وقد تحداني يوماً. عملت مع المسلمين من مختلف أنحاء العالم، وقال لي هذا الصديق: "بوب، ما تقوم

به من عمل مع المسلمين حول العالم رائع، ولكن ماذا عن تكساس؟" نظرت إليه، وهو أمير من السعودية، وقلت له: "صاحب السمو، سيكون ذلك أشبه ببناء كنيسة معمدانية في قلب مكة. لن ينجح الأمر أبداً" فقال لي: "كلا، بوب، إن هذا أدعى إلى أن تركز على إقامة الجسور."

وهذا ما فعلناه، وبدأت كنيستنا بالتواصل مع الآخرين. أقمنا حفلات الشواء وكنا نحضر اللحوم الحلال ونعمل على جمع المسلمين ودعوة اليهود، ونحضر الطعام المسموح بتناوله في الديانة اليهودية. توقعنا حضور بضع مئات من الأشخاص ولكن الآلاف حضروا – وإليكم المفاجأة: لقد أحبّ رعايا كنيستنا الأمر للغاية. ولكن هناك أمراً مفاجئاً آخر: لقد فقدت كنيستنا مئات الأعضاء في نفس الوقت – فقد شعروا بالخوف. سألوني: "بوب، لماذا نحن قريبون إلى هذا الحد من المسلمين؟ هل هذا جيد؟"

دعوني أبين لكم ثلاثة مبادئ أساسية ذات أهمية كبرى ستساعدكم في فهم الأمر كما ساعدتنا. فنحن نستخدم تلك المبادئ، تلك الحقائق الثلاث، والتي نطبّقها في خلواتنا تلك.

المبدأ الأول: جميعنا نتقاسم مكاناً في هذا العالم. كل واحد منا له مكان في هذا العالم. علينا أن نؤمن بذلك. يمكنني أن أحدثكم عن المحبة وعن الإنسانية وعن كل ذلك، ولكن إذا آمنّا بأننا نتقاسم مكاننا معاً فلا شك في أننا سنتعامل مع بعضنا البعض بشكل مختلف. يؤمن المسيحيون ، وأعرف أن اليهود يؤمنون بنفس المبدأ لأننا نستخدم النصوص العبرية.

نؤمن بأننا خلقنا جميعاً على صورة الله. ولأننا نؤمن بأننا خلقنا على هيئة الله وصورته، فعندما ننظر إلى بعضنا البعض لا بد أن تكون نظرتنا نظرة احترام وتبجيل. أما الإسلام فيعلّمنا أمراً آخر ولكنه يصب في الفكرة ذاتها، إذ يقول: "يا أيها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا."

إذاً، كل الأديان لديها نفس الفكرة، فطالما نحن جميعاً من خلق الله فإننا نرى لمحات سماوية في كل واحد منا. نحن نتشارك هذا المكان معاً. نحن خلقنا على صورة الله، ونحن أبناؤه. يخبرنا القرآن بأن جميع الناس أتباع لله وعباد له. قرأت القرآن ورأيت هذا في الكثير من الآيات، وسألت عدداً من الأئمة عن تفسيره. كما يتحدث العهد الجديد عن الفكرة ويصفنا بأننا أبناء الله، وأن مشاركتنا لمكان واحد نعيش فيه يعني أننا جميعاً متساوون في الإنسانية.

معظمنا معتاد على قضاء الوقت مع جماعتنا. لا نمضي الوقت عادة مع إمام أو حاخام، والأمر ذاته يطبق عليكم. ولكن عندما تكون لديكم ثلاثة أيام تجتمعون فيها معاً، فإليكم ما يحدث. بدلاً من الكلام النظري عن الحقائق الدينية التي تقول بأننا خلقنا جميعاً على صورة الله، أصبحنا الآن نستمع إلى شخص مختلف تماماً من الناحية العملية والشخصية.

فأنت تستمع إلى قصته – "لماذا اعتنقت الإسلام؟ لماذا أصبحت رجل دين؟" هدفنا ليس في الواقع رجال الدين، بل هدفنا هو أن يتواصل العموم من كافة الأديان وأن نجمعهم معاً لكي يتعرفوا إلى بعضهم البعض عن كثب.

المبدأ الثاني: جميعنا نخدم الناس جميعاً في هذا العالم. فوجودنا لا يقتصر على كوننا نتقاسم مكاناً واحداً بل نحن جميعاً نخدم الجميع. ومن الدروس التي نعلّمها عندما نجتمع مع القساوسة والأئمة والأحبار، نخبرهم بأن لا يتحدثوا عن الرب.

ولا يتحدثوا عن الدين. أعرف أن الأمر قد يبدو غريباً لكم، وبخاصة أنكم تسمعونه من قس مسيحي إنجيلي، ولكن معظم الناس يبدأون بالحديث بهذه الطريقة، فيبدأ النقاش عن الرب. ولكن إذا توقفنا عن النقاش قليلاً سنصل إلى القلوب ونبدأ ببناء العلاقات؛ وأخيراً يمكن أن يحدث التواصل الحقيقي.

ولكننا نعكس الأمر ونبدأ بدلاً من ذلك بالتواصل. فنحن نعيش في نفس المدن وندفع نفس الضرائب ونرتاد المدارس والجامعات ذاتها ونراجع نفس الأطباء. لنبدأ بالتواصل والتعاون ونعمل معاً من أجل صالح المدينة. عندما نتعب معاً فإننا نتواصل على الصعيد العاطفي ونبدأ بالاهتمام بالآخرين، وحينها يمكن توجيه تلك الأسئلة العميقة.

الحاخام بروس لوستيغ واحد من الناس المشاركين في هذه المجموعة. كانت لدي أسئلة عن سفر إشعيا، وكنت بحاجة لسؤاله كي أفهم كيف يفسر اليهودي هذا السفر.

ستكون بعض تلك الأسئلة عميقة وسنختلف، ولكن هناك علاقة تجمعنا الآن ولهذا فإنها لن تتركنا فريسة للخلاف.

إليكم المأساة الكبرى: معظمنا يناقش ويناظر ولكننا لا نصل إلى خلاصة أو نتيجة بسبب عدم وجود علاقات تجمعنا بالناس ولأننا لا نصغي إلى الآخرين ما فيه الكفاية. فكيف نتعامل مع بعضنا، كيف نخدم بعضنا، وكيف يبدو الأمر؟

سأخبركم بقصة سريعة: عندما قمنا بالخلوة في فينكس بولاية أريزونا، اتصل بي أحد القساوسة قائلاً: "بوب، لا أعرف ما أفعل!" سألته عن المشكلة فقال أن عدداً من الانفصاليين البيض طوقوا مسجداً هناك ولم يتمكن المسلمون من الدخول لأداء صلاة الجمعة.

توصلنا إلى فكرة، حيث ذهب المسيحيون من الكنيسة الإنجيلية إلى هناك وأحاطوا المسجد بدوائر إضافية، وشكلوا فتحة تمكن المسلمون من العبور خلالها للدخول والصلاة. ظهر الخبر على شاشات محطة سي إن إن والأخبار العالمية لأن تلك كانت أول مرة تقوم بها كنيسة إنجيلية بأمر كهذا للمسلمين. كان الأثر هائلاً.

أما المبدأ الثالث: لا تقتصر الأمور المشتركة على كوننا نتقاسم المكان ذاته وعلى أننا

جميعاً نخدم الناس جميعاً، فنحن جميعاً مطالبون بإحلال السلام. إحلال السلام عمل صعب. لدى الكثير منا فكرة بأن القيمة الأكثر أهمية هي الشجاعة للمواجهة، ولكنني أخبركم، عندما تبدأون بمد الجسور مع الآخرين، ستحتجون للشجاعة في مواجهة جماعتكم أكثر مما تحتاجونه مع الآخرين.

لا أخشى المسلمين، ولا أخشى اليهود. نشأت معمدانيّاً، والمعمدانيون هم من يخيفني بحق؛ فهم أحياناً يصبحون قاسيين وعدائيين، إذا خرجت عن جماعتك وبدأت محاولة بناء الجسور، فإن ذلك قد يخيف الآخرين. ولهذا فمن المهم أن لا تتحلى بالشجاعة وحسب، بل أن تمتلك قوة التحمل بحيث لا تستسلم، بل تواصل العمل لإحلال السلام على المدى الطويل.

من الأمور التي نقوم بها الحديث عن دورنا في دعم بعضنا البعض وأثر ذلك على الجميع. قد يكون من الرائع أن نتحدث عن المحبة والسلام وما إلى ذلك، ولكن ما يحدث التغيير الحقيقي هو البدء بالعمل الفعلي.

عندما أدرّس القساوسة الشباب خلال عملي في جميع أنحاء العالم، في مختلف المشاريع ومع مختلف القادة، أعلمهم بأن هناك ثلاثة أسباب تجعلك تمثل أمام الملك.

السبب الأول: أحدهم قام بتقديمك إليه

والسبب الثاني: أن تكون ذكيّاً للغاية بحيث يريد أن يستمع إلى حديثك.

السبب الثالث: فهو كونك تخدم رعاية المملكة بشكل ممتاز بحيث يرغب الملك بلقائك.

هذا ما ينطوي عليه إحلال السلام، تماماً كالقول بأنني لست هنا لمجرد حضور مؤتمر، وللاستمتاع بهذا الفندق الجميع والتلذذ بالكباب الشهي. فالعمل الفعلي يبدأ في الواقع

عندما نغادر هذا المكان ونعبر هذا الباب. والتحدي الذي نواجهه اليوم لا يكمن في الصمود خلال مؤتمر مطوّل، بل بالرغبة في الصمود طويلاً رغم العمل الشاق.

أمر مهم آخر: لا يكفي أن يأتي بوب إلى هنا ويتحدث، فأنا لا أعتبر ناجحاً ما لم أعمل على تنشئة القساوسة الكبار والصغار الذين يقومون بالعمل كذلك.

في عالمنا اليوم مشكلة خطرة، فنحن غير متفقين، خائفون من بعضنا البعض. لقد درست هذا الأمر، درسه الإمام ماجد ودرسه الحاخام بروس .. واكتشفنا أن هناك أملاً، أن هناك طريقاً، وأن بإمكاننا العمل معاً لتحقيق الغاية. هذا هو ما نريد عمله وهذا ما أعيش من أجله ليس فقط للأفكار الجيدة، بل لحياة طيبة.

شكراً لكم